مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

حقيقة الدنيا والرزق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

يقول الله عز وجل إنه أحسن الخالقين. تبارك وتعالى. لا يوجد أي خلل في أي شيء خلقه الله ﷻ؛ فقد خلق كل شيء بإتقان وجمال وفي موضعه الصحيح خلق ﷻ كل الأشياء بأجمل وأكمل صورة. لقد خلق الله ﷻ الأرض. سنكرر ما قلناه "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ". إنه حقاً أحسن الخالقين، تبارك اسمه ﷻ لكي يعي الناس الحقائق ويدركوا الأمور على حقيقتها.

.

لقد خلق الله ﷻ هذا العالم لكي تسكنه البشرية وتستقر فيه. تنبع الأرض بأكملها من أصل واحد، ومع ذلك، هناك أشياء معينة أنزلها الله ﷻ لاحقاً إلى الأرض؛ وأشهرها "الحجر الأسود" الذي جاء من الجنة. هناك أشياء أخرى، وإن لم تكن معروفة أو مشهورة على نطاق واسع، فهي موجودة، لكن العنصر الأبرز هو هذا الحجر المبارك والمقدس. علاوة على ذلك، خلق الله الأرض لخدمة البشرية وتوفير مكان لسُكناها. وقد ورد في القرآن عظيم الشأن "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ". "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ يوم القيامة". مهما سعى الناس للاستفادة من الدنيا، فإنهم يفعلون ذلك لفترة وجيزة فقط، ثم يرحلون؛ فلا أحد يستطيع أن يأخذ الدنيا معه. لذلك، فإن من تغرّه الدنيا هو في الخسران؛ فهي لا تدوم لأحد.

.

يخبرنا نبينا الكريم ﷺ عن يوم القيامة: أن من آمن بالله ﷻ ولكنه لم يصلِّ قط، واقتصر فعله على ارتكاب المعاصي والذنوب، فإنه سيدخل النار. إن من كان حاله هكذا يدخل النار، لكنه -على الأقل- كان مؤمناً بالله ﷻ. أما من ينكره ﷻ تماماً، فالأمر مختلف كلياً. هذا المؤمن سيدخل النار، لكنه سينجو في النهاية؛ وسواء كان عليه أن يكفّر عن ذنوبه هناك لمئات الآلاف أو لملايين السنين، فإنه سيخرج من النار في نهاية المطاف. وحتى آخر مؤمن يخرج من النار... عندما يدخل الجنة، يظن أنه "لم يعد لدي شيء؛ مليارات الأرواح موجودة هناك قبلي"، فيتساءل: "ما الذي يمكن أن يتبقى لي؟ وهل بقي متسع أصلاً؟ ألا يوجد حتى مكان لأضع فيه رأسي؟". ومع ذلك، يمنحه الله عز وجل مُلكاً يفوق حجم هذه الأرض بأضعاف مضاعفة، ولا يكون ذلك لبضع سنوات أو لعمر إنسان فحسب، بل للأبدية بأسرها.

.

لذلك، فإن أولئك الذين يلهثون وراء هذه الدنيا -ناسين الله ﷻ، أو يعصونه ﷻ، أو كافرين به ﷻ- هم في الخسران؛ إذ يفتقرون إلى الفهم الصحيح. هذه الدنيا فانية ومحدودة، ولا يمكن للمرء أن ينال منها شيئاً يتجاوز طبيعتها؛ فالدنيا هي الدنيا فحسب، وهي ممر للجميع. لا أحد يستطيع البقاء هنا، ولا خلود في هذه الدار. كما تعلمون، كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن "الذكاء الاصطناعي"، ومع ذلك فإن له حدوداً. يتوهم الناس أنهم يستطيعون من خلال هذه التقنيات إنكار وجود الله ﷻ أكثر فأكثر، غير أن لهذه التقنيات حدوداً تقف عندها. ويقع ذوو الإيمان الضعيف -أو من لا إيمان لديهم أصلاً- في حيرةٍ واضطرابٍ شديدين، متسائلين عما سيحدث أو ما ستؤول إليه الأمور... [ولكن الحقيقة تظل ثابتة:] إن الله ﷻ موجود.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

لا شيء يتحرك، ولا شيء يحدث، ولا يوجد شيء إلا بمشيئة الله عز وجل. يقول الله عز وجل في القرآن عظيم الشأن"اللَّهُ" "سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ". لقد جعل ﷻ كل شيء في البر والبحر خاضعًا لخدمتكم. يجب على المسلمين أن يدركوا أن هذه الأشياء تأتي من الله ﷻ – بإرادته – وأن لا شيء يحدث بدون إرادته ﷻ.

.

لقد أصبح المسلمون في حيرة شديدة في الآونة الأخيرة؛ عقولهم مشوشة تماما. بدون الإيمان لا يوجد سلام. جاء في القرآن عظيم الشأن "يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ". يُبيّن الله عز وجل في القرآن أنهم يظنون أن كل شيء ضدهم؛ وهؤلاء هم الذين لا إيمان لهم. أما المؤمنون، فقد سلّموا أمرهم وتوكلوا على الله ﷻ، مؤمنين بأن "كل شيء يأتي من الله ﷻ-الخير والشر-"، ثم يمضون في حياتهم. إن الرزق المقدّر لنا سيأتينا لا محالة؛ علينا أن ندرك هذه الحقيقة. كما قلنا، يجب على المرء أن ينسب كل الأمور إلى الله ﷻ وألا يُرهق عقله بشواغل الدنيا أو يترك نفسه فريسةً للحيرة والارتباك. يقول الله عز وجل: "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ". لذلك، فإن شؤون الدنيا متروكة لأهل الدنيا؛ فليقلقوا وليحتاروا وليتعاملوا هم مع هذه الأمور، أما أنت فعليك أن تظل مطمئن البال.

.

هناك تعلق شديد بأمور الدنيا هنا. فالأمر سيان في كل مكان تقريباً، ولكن هنا -وفي أماكن محددة- نجد الناس أكثر انشغالاً بمشاغل الدنيا ومغرياتها؛ وذلك لأنهم يسعون لإشباع نفوسهم ورغباتهم بدرجة أكبر. لذلك، فإن من يسيطر على نفسه يفوز من كل النواحي، وإلا فلن يرضيه شيء أبداً؛ بل إنه يدمر نفسه فحسب، ويجر الآخرين معه إلى الهاوية. وخير علاج لهذا الأمر، إن شاء الله، هو البحث عن الأصدقاء الصالحين ومصاحبة الصالحين، وتبادل النصح فيما بينكم. نبينا الكريم ﷺ يقول "يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ". فالمرء إذا انفرد بنفسه يسهل عليه الضلال والانحراف. في هذا الزمن، قد يكون صاحب السوء أشد خطراً من الشيطان؛ إذ يمكنه بسهولة فعل ما يعجز الشيطان نفسه عن فعله. لذلك، يجب على المرء أن يبتعد عن أمثال هؤلاء الناس، إن شاء الله. نسأل الله ﷻ أن يعينكم جميعاً -ويعيننا نحن أيضاً- أينما كنتم في هذا العالم. ورغم أن هذا المكان قد يشهد قدراً أكبر من هذه الأمور، إلا أنه لم يعد هناك مكان آمن حقاً في أي بقعة. نسأل الله ﷻ أن يبعث المخلِّص، إن شاء الله. وذلك المخلِّص هو المهدي عليه السلام. سنواصل حتى قدومه، إن شاء الله. حين يأتي، ستُزال كل هذه الشرور وتُطهَّر الأرض منها. نسأل الله ﷻ أن يعجّل بقدومه، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
24 أيلول 2026/ 13 ربيع الآخر 1448
مسجد الفاتح – برلين، ألمانيا